توثيق حياة مبارك قسم الله تنويراً للجيل الجديد وتقوية لعزيمته

إعداد: نهى حامد عبد الرحمن .

مبارك قسم الله هو فكرة مطبوعة في أذهان الذين يعرفونه، هو بمقياس العطاء والإخاء والفداء والرجولة أمة قائمة وشخصية وحالة استثنائية في سماء الدعوة الإسلامية.

*** الميلاد والنشأة:**

ولد الشيخ مبارك قسم الله بمدينة الرنك في عام ١٩٣٦م ونشأ بها حيث تلقى تعليمه بخلوة الرنك تحت رعاية جده من أمه وفي السنة السابعة من عمره أرسله جده لوالده بكوستي حيث تلقى تعليمه الأولي والمتوسط بمدينة كوستي ومن تلك الفترة بدأ يعتد على نفسه ويعيش من عمل يده التحق بمدرسة التجارة الثانوية بأمدرمان وبعدها قبل بجامعة الخرطوم كلية الآداب، ومبارك قسم الله زايد كان من رواد الحركة الإسلامية في الجامعات فترة الستينات، فصل من جامعة الخرطوم وهو في السنة النهائية بسبب نشاطه الإسلامي، وواجه الشيخ مبارك طوال مراحله التعليمية معاناة لا يصبر عليها إلا من هيأه الله ليكون من أولي العزم من الرجال.

*** عمله:**

اتجه الشيخ مبارك قسم الله زايد عند فصله من جامعة الخرطوم إلي العمل في مجال التربية والتعليم وكعادته في كسر الجمود وفتح الطريق أمام التطور والانطلاق، أعمل الشيخ مبارك فكره وعقله في تطوير المعاهد الدينية ليكون طلابها دعاة المستقبل وحملة النور وقد كان همه موجهاً لمجال الدعوة ، وعطاؤه منصباً فيها وجاهد وجالد وهو يقود نقابات المعلمين يقدم الأفكار النيرة التي يجتمع عليها الجميع لتتحول الحركة النقابية إلي حياة مليئة بالنشاط والحيوية والخير، أكمل الشيخ مبارك تعليمه الجامعي واستمر معلما بالمدارس الثانوية إلي أن تمت إحالته للمعاش في عهد نميري، ذهب الشيخ مبارك إلي جمهورية يوغندا وعمل بالمركز الإسلامي مع صديق عمره رجل الأعمال السوداني محمد عبد الله جار النبي وأرسى وقوى دعائم الحركة والدعوة إلي الله عبر ثماني سنوات متصلة.

*** العودة إلي البلاد:**

وعاد بعدها إلي الخرطوم ليبدأ صفحة جديدة في حياته المتفردة حيث أوكل له إقامة ركائز منظمة الدعوة الإسلامية مع نفر كريم من أولي العلم والنهى، لم يكن للمنظمة مقر سوي بيوت الشيوخ المجتهدين وأهل الخير والصلاح، إلي أن بدأها بمكتب ضيق في بناية تقع وسط ازدحام السوق، وعربة سوزوكي ومنزل متواضع، ونمت المنظمة وظل مبارك هو حجر الزاوية في بنائها، نمت منظمة الدعوة الإسلامية وأصبحت رائدة العمل الدعوي والخيري في العالم الإسلامي، لقد افتتحت على يد مبارك قسم الله الكثير الكثير من المساجد والخلاوي والمدارس والمستشفيات، فقد كان مبارك مصدر ثقة وأمان لكل أهل الخير، فتح على المنظمة أبواب الخليج وجعل لها أصدقاء في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة وغيرها، وفتح الشيخ مبارك لمنظمة الدعوة الإسلامية أبواب أفريقيا فصادق الرؤساء والعامة وانطلق العمل الطوعي الإسلامي فأسلم مئات الآلاف وانفتحت دعوة الإسلام للملايين من شعوب العالم.

*** من صفاته:**

عرف بالزهد في حياته الزائل، بسيط ولكن في قوة يألفه القلب حال أن ينطق بالكلمة مصحوبة بابتسامة بسيطة، هو حازم في غير صلف معتد بالرأي الذي يفصل به فيما اختلف فيه الآخرون؟؟؟؟ لله متوكل عليه، قارئ للكتاب صوام قوام، يجد ويهزل وكل واحدة في وقتها بلا حرج، تحترمه حين يبدأ بالحديث؛ لأن السامع سيجد المفيد فيما يسمع، وقد رشحته هذه الخصال لأن ينال حب واحترام الأخوة في كافة البلاد العربية والأفريقية من الذين انعقدت بينهم وبينه صداقة حميمة مصحوبة بكل أنواع الدعابة والنكتة ولكن في احترام شديد محب لعمل الخير لدرجة ينسي فيها نفسه، قل أن تجده في مكان واحد، وإن شئت له وجوداً فأبحث عنه في كل مكان، نحلة تبحث لها عن رحيق في كل بستان، فقد كان بستانه كل شبر يقيم فيه فقير أو يتيم أو محروم، مبارك صاحب قلب كبير لا يعيش بين الناس، لا يحمل في نفسه مَوْجِدة ولا شر بأحد من الناس فهم في نظره جزء منه وما يصيبهم من مكروه فكأنما أُصِيْبت به نفسه التي وسعتهم أجمعين.

*** الشخصية الإشراقية:**

كان مبارك مشعاً ليس من قبيل المجاز ولكنها الحقيقة المجردة والكل يحس بها وعلامة ذلك أن مبارك يؤثر تأثيراً عجيباً في كل من يدخل في مجاله، كل من له القدرة على الإدراك أو الإحساس أو الاستشفاف، إن مباركاً كان لا يعرف العقد الاجتماعية، أو الثقافية، كان مسلماً ملتزماً، وكان يقول أنه بلالي النسب ولا فخر، كان يقول إن بلالاً هو جده الذي ينتسب إليه، وإن هذا الشرف يكفيه وزيادة.

*** زهـــده:**

كان مبارك قسم الله من أولئك النمط الفريد من الدعاة الذين وهبوا أنفسهم لله تعالى، كانت همومه وخواطره وخلجات نفسه هي هموم الدعوة الإسلامية، أما الدنيا وزينتها فقد صرف عنها وعزف عزوف الزاهدين الذين كانت أشواقهم تتطلع إلي الملأ الأعلى.

*** ورحل ذلك المبارك العملاق:**

إن قلت أبكيه فقد ينذرف الدمع بمرات تتهاوى من مقلة مقروحة نازفة من قلب جريح مكسور، هذا ما قاله الشيخ صادق عبد الله عبد الماجد ويقول أيضاً عن رحيل الشيخ المبارك، أنت أخي مبارك في كنف الله تعالى مضيت إليه طاهر القلب مطمئن للنفس ذاكراً عابداً تقياً في كل ما عرفناه فيك من إخلاص لله في العمل وحب في الله ويفنى في الله في كل ما يتعلق بدينك ووفائك وعهدك مع الله، إن فجيعة الأمة فيك فادحة قاسية مستعرة لا ينطفئ منها نور ولا يخبو لها لهيب، وسيظل الجميع يذكرونك يا مبارك لأنك مقيم في القلوب بما حباك الله من خلق رفيع عظيم استطعت به أن تلين وتجذب إليك حتى القاسيات من القلوب؛ وسيذكرونك في كل أعمال الخيرات التي نذرت لها نفسها وجهدك وطاقتك وما قصدت بها إلا وجه الله الكريم، ففي جوار الله ونعمائه وفردوسه يا مبارك وفي صحبة الأطهار الأبرار والشهداء والصالحين والمتقين، وسلام عليك وأنت فيهم من أصحاب اليمين برحمة من الله الرحمن الرحيم.

كيف البكاء على مبارك- للشاعر محمد عبد الحليم محمد

حملوك مئذنة تعانق *** قمة فوق السحاب
حملوك مئذنة تلوح *** وحيدة بين القباب
غرسوك يا شيخي الجليل *** شتلوك في قلب التراب
أكرم به ذاك التراب *** وآه من ذاك التراب
كيف البكاء على مبارك *** وهو موفر الصفات
عجزت حروفي جملة *** في وصفه صارت موات
من لليتيم إذا اشتكى *** في ظلمة الليل البهيم
من للأرامل والحيارى *** في دهاليز الهموم
من كان غيرك يالمَسي *** المحدقات بهم عليم
دفنوك يا شيخي مبارك *** يا صاحب العمل المبارك
وبعدها قد خلت أني *** من خلال القبر أسمع في تبارك
دفنوك يا شيخي مبارك *** يا صحاب العمل المبارك .